

• أضواء على النشاط الوطني لأحمد بن بلة ما بين 1946 و 1950

lights on the national activity of Ahmed Ben Bella between 1946 and 1950

أ.د. مصطفى أوامري¹، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر) mo_ouamri@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/07/31

تاريخ القبول: 2022/07/17

تاريخ الاستلام: 2022/05/11

المخلص:

أحاول في هذه الدراسة تسليط بعض الأضواء على النشاط الوطني لأحمد بن بلة ما بين 1946 و 1950. وهذا بالتعرض في البداية إلى العوامل التي ساعدت على تنمية الحس الوطني والثوري لديه، ثم انخراط أحمد بن بلة في حزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ونشاطه العلني داخل التيار الاستقلالي الثوري. وكذلك نشاطه السري في إطار المنظمة الخاصة. وموقف الإدارة الاستعمارية منه.

كلمات مفتاحية: أحمد بن بلة، حزب الشعب الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، المنظمة الخاصة الجزائر.

Abstract:

In this study I try to shed some light on the national activity of Ahmed Ben Bella between 1946 and 1950. And this, through exposure, in the beginning to the factors that helped to develop his national and revolutionary sense, and then his Engagement in the Algerian People's Party, the Movement of Victory for Democratic Freedoms, and his public activity within the revolutionary independence movement. As well as his secret activity within the framework of the special organization, and the position of the colonial administration towards him.

Key words: Ahmed Ben Bella, Algerian People's Party, Victory Movement for Democratic Freedoms, Special Organization, Algeria.

¹ مصطفى أوامري، جامعة تلمسان، mo_ouamri@yahoo.fr

• مداخلة قدمت في الملتقى الدولي المنعقد بتلمسان حول أحمد بن بلة في بعده الوطني والدولي يومي 4 و5 ديسمبر 2016 بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده. مع بعض التنقيحات.

مقدمة:

أصبح أحمد بن بلة قائدا للمنظمة الخاصة سنة 1949، وبرز بشكل مميز على الساحة الوطنية الجزائرية. غير أن نشاطه الوطني في الفترة السابقة لهذا التاريخ ما زال في حاجة إلى مزيد من الدراسة والتمحيص.

أحاول في هذه الدراسة تسليط بعض الأضواء على هذا النشاط؛ وذلك بالتعرض في البداية إلى العوامل التي ساعدت على تنمية الحس الوطني والثوري لأحمد بن بلة، ثم انخراطه في حزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ونشاطه العلني داخل التيار الاستقلالي الثوري، مع تصدره للقائمة الانتخابية لهذا الحزب بمدينة مغنية في الانتخابات البلدية التي جرت في أكتوبر 1947، ودوره الفعال في الحملة الانتخابية التي توجت بفوزه مع زملائه في هذه الانتخابات. والمجهودات التي قام بها بصفته مستشارا بلديا في خدمة أبناء وطنه وفي توسيع القاعدة النضالية للحزب بالمنطقة، وموقف الإدارة الاستعمارية من ذلك النشاط. وكذلك نشاطه السري في إطار المنظمة الخاصة.

1. العوامل التي ساعدت على تنمية الحس الوطني والثوري لأحمد بن بلة:

هناك مجموعة من العوامل أثرت في شخصية أحمد بن بلة وساهمت في تنمية الروح الوطنية والثورية لديه، ومن هذه العوامل نذكر:

1.1. الوسط العائلي:

ينتمي أحمد بن بلة المولود بمدينة مغنية سنة 1916 إلى أسرة متدينة متواضعة، تتكون من الأب والأم وأربعة إخوة وأختين، اشتغل أبوه بالزراعة كما اشتغل بالتجارة أيضا لتلبية حاجيات أفراد الأسرة،¹ وكان شديد التدين؛ ينتمي إلى الطريقة الموكاحلية التي كان ينتمي إليها جميع أفراد الأسرة. أما والدته فكانت تحفظ الأناشيد الدينية والملاحمية. فمند طفولته نشأ بن بلة في وسط أسرة متدينة تؤدي فرائض الدين الإسلامي على أكمل وجه ويقول في هذا الصدد: "أتذكر منذ طفولتي كنت أستيقظ كل يوم على الساعة الرابعة صباحا على الضوضاء الذي كان يحدثه أفراد العائلة لأداء صلاة الفجر...".²

وحسب بن بلة فإنه ترعرع في بيئة تردد فيها الأناشيد الدينية، وملاحم البطولة التي تمجد الرباط والجهاد والشجاعة؛ وعلى سبيل المثال، فإن جهاد سيدي الموفق بن الحاجة مغنية إلى جانب الأمير عبد القادر واستشهاده، ظل راسخا في ذهنه بفضل نسج ملحمة طويلة حوله الكل كان يتغنى بها في المدينة إذ يقول: "أتذكر أن والدتي رحمها الله كثيرا ما كانت تردها أمامي".³

كما تأثر بن بلة أيضا بثورة الأمير عبد الكريم الخطابي التي اندلعت ضد الإسبان والفرنسيين، وكانت أصدائها تصل بقوة إلى المنطقة بحكم الموقع الجغرافي القريب لمدينة مغنية من الحدود الشمالية الشرقية المغربية، وعمره آنذاك حوالي ست سنوات ويقول في هذا الصدد: "لا أنسى الأغنية التي كنا نرددتها خلال تلك الفترة، والتي تمجد انتصارات عبد الكريم الخطابي على الإسبان، "ففرحتنا كانت تزداد كلما ارتفع عدد الضحايا في صفوف العدو".⁴ ودلالة هذا كله هي وعي الطفل بن بلة وأقرانه بذاتيتهم المتميزة عن الأوروبيين ويذكر بهذا الخصوص: "كنا واعين بأننا جزائريين وهم فرنسيون؛ نحن مسلمون وهم كفار".⁵

2.1. الواقع الاستعماري والميرور سياسة التمييز العنصري:

بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، ومغادرته لقريته الصغيرة مغنية؛ البلدية المختلطة وعمره إحدى عشر سنة إلى مدينة تلمسان إحدى دوائر عمالة وهران الهامة آنذاك، لاستكمال دراسته وتحضير شهادة" البروفيه". لاحظ بن بلة

التمايز الصارخ بين المجتمع الجزائري المسلم وبين المجتمع الأوربي، فالعلاقات بينهما لم تكن لها نفس " ...الطبيبة السطحية التي كانت موجودة في القرية (مغنية) التي كانت تخفي حقائق الأشياء. في تلمسان كان التصدع بين عالم الأوربيين وعالم الجزائريين واضحا..". الأمر الذي جعله يشعر لأول مرة بأنه ينتمي " إلى مجموعة من الناس يعتبرها الأوربيون منحة . " ويفهم بأنه أجنبي في بلاده.⁶

والتميز العنصري بالجزائر كان شاملا وفي مختلف المجالات ومنها المدرسة ، وهو أحد المقومات الأساسية للإيديولوجية الاستعمارية المبنية على تحطيم مقومات الشخصية الوطنية. والحط من قيمة العنصر المغلوب؛ وهم الجزائريون المسلمون من طرف العنصر الغالب؛ وهم الأوربيون ، الذين استولوا على الأراضي الخصبة واستغلوا خيرات وموارد الجزائر المختلفة لصالحهم ، وسخروا الجزائريين لخدمتهم بعد أسرهم في قانون الأهالي الذي صدر رسميا سنة 1881، وشرع في تطبيقه عمليا منذ سنة 1830 مع بداية الاحتلال ، وهو القانون الذي ظل سيفا مسلطا على رقاب الجزائريين.

ولعل الحادث الذي أثر كثيرا في نفسية أحمد بن بلة وعمره أربعة عشر سنة. وهو يتابع دراسته بتلمسان، ما وقع في المدرسة التكميلية حينما تهجم أحد المدرسين ؛ بن أفيديس (Ben avidès) على الإسلام. ولم يتمالك بن بلة أعصابه، وكان رده قويا، ومن بين ما قاله لهذا المدرس المتعصب الفرنسي الجنسية الإسباني الأصل: " سيدي تستطيع أن تقول هذا أمام أطفال... ولكن يجب أن تفهم بأن ديننا مقدس بالنسبة لنا. كلا. كلا. إنه ليس جميلا منكم أن تقولوا هذا الكلام."⁷ فالرد كان تلقائيا وثوريا وحاسما ، فلا مجال للمساس بمقومات الشخصية الوطنية، وعلى رأسها الدين الإسلامي.

أثر هذا الحادث كثيرا في نفسية أحمد بن بلة الذي كان ما يزال في سن المراهقة، خاصة وأنه ينتمي إلى عائلة شديدة التدين، وجعله طريح الفراش لأكثر من خمسة عشر يوما، وظل محتفظا به في الذاكرة. كما ظل يرفض التمييز العنصري ويقول بهذا الشأن: "ومنذ ذلك العهد شعرت من أعماق قلبي أنني ثائر."⁸ وفعلا ظل يقاوم السياسة التمييزية الاستعمارية ويرفضها، ومن الأمثلة على ذلك على سبيل المثال وليس الحصر، أنه بعد استدعائه للتجنيد للمرة الثانية في صيف سنة 1943، بعد الإنزال الأنجلو أمريكي بالجزائر في نوفمبر 1942، لمواجهة القوات الألمانية والاطالية بشمال إفريقيا، تمت إحالته على الفيلق السادس للمدفعية بتلمسان. ورغم أنه كان برتبة رقيب، وله وسام الحرب تحصل عليه بمرسليا سنة 1940 بعد أن أبلى بلاء حسنا في الحرب هناك ضد القوات النازية، فقد لاحظ اللا مساواة الصارخة بين الضباط الفرنسيين والضباط الجزائريين: " هناك قاعتان للأكل منفصلتان للصفين من الضباط، ومطبخان منفصلان لضباط الصف...". وهو الأمر الذي جعله يتزعم مقاومة هذه السياسة التمييزية بالفيلق السادس والتي استنكرها أيضا زملاءه الجزائريون. وهذا التحرك لم يغفره له القادة العسكريون، وكان عقابه هو الإبعاد وإحالاته بعد بضعة أشهر على الفيلق الخامس للمدفعية المغربية⁹ حتى لا يثير أي "تشويش" بين المجندين الجزائريين.

3.1. الخدمة العسكرية الإجبارية والمشاركة في الحرب العالمية الثانية:

فرضت فرنسا على الجزائريين الخدمة العسكرية الإجبارية بموجب قانون التجنيد الإجباري الصادر في فيفري عام 1912، وجندت آلاف الشباب الجزائريين ورمت بهم إلى الصفوف الأمامية في الحرب العالمية الأولى والثانية. وفي الواقع، فرغم ما في هذه العملية من انعكاسات سلبية على الجزائريين، فإنها لم تخل من إيجابيات؛ إذ أخرجتهم من العزلة المفرطة التي فرضها الواقع الاستعماري عليهم، وجعلتهم يتفتحون على العالم الخارجي بمعطياته السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن ثم استدعم لديهم فكرة الشعور بالذات عن طريق المقارنة من بعيد والاحتكاك بالآخر، مع التعود على استعمال السلاح واكتساب الخبرات القتالية والحربية.

في هذا الإطار تم استدعاء أحمد بن بلة إلى الخدمة العسكرية الإجبارية سنة 1937، وأحيل على فيلق المشاة الجبليين 141 بمرسيليا وكان به جنود فرنسيون وجزائريون، غير أن القيادة كانت فرنسية. وأول ما استرعى انتباهه حسب ما ذكر في مذكراته، هو انعدام التمييز العنصري لدى الضباط الفرنسيين بالمتروبول عكس ما كان عليه الوضع في الجزائر، ويقول في هذا الصدد: "ومنذ اتصالي الأول بهم عرفت أنهم لا يمارسون التمييز العنصري بين الجنود الفرنسيين والجزائريين. بالنسبة لي كنت كأنما دخلت إلى عالم جديد. إن حقوقي كإنسان، أصبحت لأول مرة معترف بها."¹⁰

في نفس السياق، وأثناء اجتياز امتحان ضباط الصف فقد أهدته علاماته على احتلال المرتبة الأولى، والحصول على رتبة رقيب. وبالنسبة له كان هذا عدلا، "ولكن هذا العدل في الجزائر كان أمرا مستحيلا".¹¹ لم يتم تسريحه كغيره من المجندين الجزائريين إلا بعد الهزيمة الفرنسية الساحقة في جوان 1940 بعد توقيع الهدنة مع ألمانيا، وبرز بشكل مميز في مقاومة الهجوم الجوي الألماني على مدينة مرسيليا منح بفضله وسام الحرب.¹²

غير أن كفاءته الحربية برزت خاصة في حملة إيطاليا التي شارك فيها ضمن الفيالق الخامس المغربي بعد استدعائه من جديد سنة 1943، حيث أبدى شجاعة كبيرة في معركة مونتي كاسينو Monte Cassino سنة 1944. وبعد احتلال روما، واعترافا بدوره في الحرب، قلده الجنرال ديغول شخصيا وسام الحرب في حفل عسكري مشهود نظم بهذه المدينة.¹³

كما أنه حصل على إجازة استثنائية لزيارة عائلته بمغنية، وبعد انتهائها التحق بمستودع وجدة. وهناك وصلت إليه أصداء مجازر ماي 1945 الرهيبة بالجزائر والتي أثرت فيه كثيرا، وجعلته يقرر مقاومة الاستعمار ومغادرة الجيش الفرنسي، رغم الإغراءات الكثيرة التي قدمت له ويقول بهذا الصدد: "كنت أتأمل العبرة من هذا الدرس المير عندما كان رؤسائي يقترحون علي البقاء بالجيش الفرنسي. كانوا يريدون إرسالي إلى مدرسة للضباط... وبعد زمن قصير أتخرج برتبة ملازم. ورفضت متعللا بوضعي العائلية... ولكن أحداث قسنطينة في الحقيقة هي التي لعبت في رفضي دورا حاسما. لقد أحسست بأن الاختيار بالنسبة لي قد تم. فالقمع الذي دارت رحاه في مدينة سطيف حفر خندقا لا يعبر بين المجموعتين الأوربية والجزائرية. كنت أشعر بأنه يجب علي إزاء مجموعتي أن أحاول بكل وسيلة في مستطاعي أن أحسن مصيرها وأن اجعل الظلم الذي كانت ضحيته ينتهي."¹⁴

فضلا عن اكتساب الخبرات العسكرية، والتكتيك الحربي وتجربة القيادة التي مارسها عمليا في ميدان القتال، والتي سيستثمرها بن بلة مستقبلا في النضال الوطني التحرري، فإن التجنيد العسكري حسه ساهم في تطوير الوعي السياسي الوطني لدى المجندين الجزائريين.¹⁵

4.1. المطالعة الشخصية:

رغم أن بن بلة لم يكمل دراسته وغادر مقاعد الدراسة بعد فشله في اجتياز امتحان "البروفيه"، فإنه لم ينقطع عن مطالعة الكتب التي عمقت معارفه التاريخية والسياسية، ومن بين الكتب التاريخية الأولى التي قرأها أثناء تواجده بتلمسان، كتاب تاريخ العرب "لكوستاف لوبون" Gustave Le Bon والذي كان ممنوعا، ومن وجد عنده يحكم عليه على الأقل بستين سجنا في إطار قانون الأهالي. كما طالع كتب أخرى حول الأمير عبد القادر، والتي كانت هي أيضا ممنوعة في الجزائر. وأثناء أدائه الخدمة العسكرية الاجبارية، بدأ يهتم بالكتابات السياسية وعلى رأسها كتابات الزعيم القومي العربي شكيب أرسلان، حيث يذكر بأنه قرأ كل أعماله المترجمة إلى اللغة الفرنسية. وساهم هذا كله في تعميق حسه الوطني، ولم يغفل قراءة الكتب الأدبية الفرنسية الكلاسيكية مثل كتب فيكتور هيغو، Victor Hugo، لامارتين Lamartine، فرلين Verlain... وغيرهم.¹⁶ أصبحت له معرفة جيدة باللغة الفرنسية سيستثمرها هي الأخرى في الدفاع

عن المسألة الوطنية، خاصة بعد انخراطه في النضال السياسي، ومواجهة السياسة الأوربيين والمرافعة عن القضية الوطنية باللغة التي يفهمونها.

2. النشاط الوطني لأحمد بن بلة:

حينما تأسس حزب الشعب الجزائري سنة 1937، كان أحمد بن بلة في مدينة تلمسان، وحسبه فإن المسؤولين الأوائل لهذا التنظيم، وأعضائه كانوا أصدقاءه وزملاءه بالثانوية؛ ومنهم الأمين العام للحزب بن عصمان الذي كان صديقه وزميله بالثانوية. لم يكن بن بلة عضواً في الحزب، لكن كان متعاطفاً مع أفكاره ومبادئه.¹⁷ ومن الوطنيين الذين اتصل بهم خلال هذه الفترة وكان لهم دور بارز في تلقيه دروس الوطنية الأولى هو ابن مدينته عبد القادر بركه، ويقول بخصوصه: "لقد أعطى نفسه جسداً وروحاً للقضية الوطنية. وهذا الرجل الطاهر... مارس تأثيراً بعيد المدى على تكويني السياسي. ومع الأسف لقد مات حتى قبل بداية نضالنا. لقد جرفه وباء التيفوس ... سنة 1940...".¹⁸

والظاهر أن الخدمة العسكرية الإجبارية (1937-1940) ومشاركة بن بلة في حملة إيطاليا بأوربا منذ 1943 ضمن الفيالق الخامس للمدفعية المغربية، مع قوات الحلفاء لمواجهة دول المحور، قد أثر على انخراطه فعلياً في النضال السياسي. ويبدو أنه لم ينضم بصفة رسمية إلى الحزب إلا بعد تسريحه من الخدمة العسكرية بعد مجازي ماي 1945 الهيبية. وبعد حل حركة أحباب البيان والحريّة في وقت كان فيه أغلب مسؤولي الحزب الثوري ومناضليه معتقلين أو محل متابعة. ولعل نشاطه السياسي خلال هذه الفترة كان سرياً، خاصة وأن حزب الشعب الجزائري كان ما يزال محظوراً. ولم يفتح النشاط بالنسبة لهذا الحزب إلا بعد عودة مصالي الحاج إلى الجزائر في 13 أكتوبر 1946، بعد بضعة أشهر من إصدار البرلمان الفرنسي لعفو مارس 1946.

جاء مصالي بفكرة المشاركة في الانتخابات التي كان يقاطعها الحزب بشدة، وهو التوجه السياسي الذي ناقشته إدارة الحزب الموسعة المجتمعمة في بوزريعة في نهاية أكتوبر. في ظل هذه الأجواء، شارك الحزب في الانتخابات البرلمانية المنظمة في نوفمبر 1946 باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وهي التسمية التي عاد بها إلى الشرعية ودخل ميدان المعركة السياسية، دون التخلي عن النشاط السري في إطار حزب الشعب الجزائري، مع التحضير للكفاح المسلح في إطار المنظمة الخاصة، وهي القرارات التي اتخذت في مؤتمر فبراير 1947.¹⁹

3. مظاهر من النضال العلني والسري لأحمد بن بلة:

الظاهر أن أحمد بن بلة كانت له نشاطات كثيفة بعد انخراطه رسمياً في الحزب، وفرض نفسه بقوة في مدينة مغنية، بفضل شجاعته وجراته وإقدامه، مع السمعة التي كان يتميز بها بين أترابه بصفته رياضياً وللاعب كرة قدم، فضلاً عن البطولات التي سجلها خلال الحرب العالمية الثانية مع الأوسمة والاستحقاقات التي حصل عليها وخاصة الوسام الذي منحه له الجنرال ديغول شخصياً. ولعل هذه المواصفات هي التي جعلته يرتقي بسرعة في الحزب ويصل إلى مناصب القيادة، إذ نجده يحضر المؤتمر الفيدرالي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية لعمالة وهران الذي انعقد في صيف 1947 بوهران، تحت الرئاسة الشرفية لمصالي الحاج، و الرئاسة الفعلية للنائب خيضر محمد نائب الجزائر.²⁰

حضر المؤتمر مناضلون قدموا من مناطق مختلفة من الغرب الجزائري: تلمسان، تيارت، غليزان، عين تموشنت، معسكر، المحمدية السوكر، البيض مغنية، مستغانم. لقد توجت أعماله بتعيين اللجنة الفيدرالية للعمالة الغربية بواسطة الاقتراع من خمسة عشر عضواً، وكان ضمنهم بن بلة إلى جانب الدكتور الأمين؛ النائب الجزائري بالبرلمان الفرنسي. أما الأعضاء الآخرون فهم: بن عمر محمد؛ من تلمسان، صحراوي محمد من مدينة وهران، تركي عبد القادر من وهران، سويح الهواري؛ بمدينة وهران، الأحول محمد؛ من مدينة مستغانم، فواتح البشير من غليزان، علي

محمد: من معسكر، ابن محمد أحمد؛ من تيارت، آيت زاوش معمر؛ من عين تموشنت، صدقاوي عمار؛ بجريفيل (البيض حاليا)، طالبي الحبيب من باريقو (المحمدية حاليا)، الدكتور طبال من تلمسان، آيت مختار أحمد؛ من السوقر.²¹ إن تعيين بن بلة كعضو في فيدرالية عمالة وهران يدل على أنه أصبح شخصية قيادية معروفة على مستوى القطاع الوهراني، كما أنه التقى بمناضلين وبقادة وطنيين بارزين في هذا المؤتمر، وعلى رأسهم الأمين دباغين الذي تولى قيادة الحزب الثوري خلال الحرب العالمية الثانية 1942-1945، وكان له وزن كبير في الحزب إلى جانب مصالي الحاج. بعد حوالي ثلاثة أشهر من هذا الاجتماع، جاءت الانتخابات البلدية لشهر أكتوبر 1947، والتي جرت في أجواء تنافسية كبيرة بين المصاليين والبيانيين.

3.1. بن بلة وانتخابات أكتوبر 1947:

عمل الحزب على تحويل هذه الاستشارة الانتخابية إلى تظاهرة سياسية إيديولوجية، و تمحورت دعايته الانتخابية عموما حول المسألة الوطنية: رفض القانون الأساسي الممنوح، من أجل مجلس تأسيسي جزائري ذي سيادة. و بمدينة مغنية وضع أحمد بن بلة على رأس قائمة مرشحي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وقاد الحملة الانتخابية مركزا خاصة على حي الأهالي بالمطمر، وأشرف على تنظيم تجمعات أخرى؛ منها ذلك المنظم في 17 أكتوبر حيث تم فيه تقديم مرشحي الحزب لساكنة مغنية الذين حضروا بكثافة لهذا التجمع أين أكد المتدخلون على إصرارهم على النضال من أجل تحسين أوضاع المسلمين الجزائريين، وتحقيق استقلال الجزائر. وفي تلميح للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان يهتم حركة الانتصار بالعنف صرح أحد المتدخلين تكتيكيا: "...يتهمنا البعض بالمجانين والمتهورين، و يذهبون إلى حد الزعم بأننا سنثور بالأسلحة في اليد. نرد عليهم بأننا لسنا مجانين و لا متهورين، و ليست لدينا أية نية في الثورة، و من جهة أخرى ليست لدينا لا أسلحة و لا ذخيرة للقيام بذلك..."²².

خرج حزب حركة الانتصار أكبر منتصر من هذه الانتخابات البلدية إذ فاز بأغلب المقاعد في المدن مثل وهران، تلمسان، عين تموشنت و مغنية، و كثير من البلديات الأخرى، وبهذه المدينة الأخيرة من بين 400 صوت معبر عنه تراوحت الأصوات التي حصل عليها مرشحوه ما بين 345 و 365 صوتا.²³

رأت الإدارة الاستعمارية في الفوز الساحق المسجل من قبل التيار الاستقلالي الثوري في هذه الانتخابات خطر الدعاية الوطنية في صفوف الجماهير الشعبية، ومن ثم بدأت في عرقلها ومحاربتها بدءا باستبدال الحاكم العام "إيف شاتينيو- Yves Chataigneau"، المتعاطف مع الجزائريين من وجهة نظر أوروبيي الجزائر، بحاكم عام جديد "نايجلان - Naegelen؛ مهندس تزوير الانتخابات منذ أوائل سنة 1948. كما عملت على تهميش المنتخبين المسلمين بالمجالس البلدية، ويقول بن بلة في هذا الصدد: "منذ الجلسة الأولى للمجلس البلدي بمغنية، كان واضحا بأن منتخبي الدرجة الأولى، الأقوياء بأغلبيتهم العضوية... لا يريدون (تفويض) أية مهمة لمنتخبي الدرجة الثانية. وكان هذا يعني رفض مشاركتنا في إدارة المدينة الصغيرة، ومنعنا... من أن نكون نافعين للذين انتخبونا."²⁴ والهدف من أبعاد هذه السياسية الاستعمارية التمييزية هو نزع المصداقية من المنتخبين المسلمين، وإبعاد المواطنين عنهم بعد اهتزاز مكانتهم وفقد الثقة فيهم.

لم يتم افتكاك التفويض ببعض المهام إلا بعد ثلاث استقالات جماعية قدمها منتخبو الدرجة الثانية (الجزائريون المسلمون) بالمجلس البلدي بمغنية، ومواجهة قوية مع أوروبيي الغرفة الأولى. وكان على رأس هذه المقاومة بن بلة، الذي أسندت له مهمة توزيع بطاقات التموين. ذلك أن العمل ببطاقات التموين الذي شرع في تطبيقه خلال الحرب العالمية الثانية كان مستمرا حتى هذه الفترة، وكانت الغالبية من الجزائريين تعيش حالة الفقر المدقع والأمراض المتفشية في

صفوفهم، وخاصة مرض التيفوس الذي أودى بحياة كثير منهم. ويقول بن بلة بهذا الشأن: لقد وقعت وبدون تردد لهؤلاء البائسين آلاف من بطاقات التموين التي لم يكن من حقي توقيعها. لم أبال بذلك كثيرا. لأنه إذا كان القانون يقول: لا. فالأفواه الجائعة كانت أمامي.²⁵

بطبيعة الحال استغل بن بلة منصبه كمستشار بالمجلس البلدي، واتصاله الواسع بالفئات الفقيرة في نشر الدعاية الوطنية بين صفوف الكادحين، وتوسيع القاعدة النضالية لحركة الانتصار بهذه المدينة إذ يقول: " جعلت، في شهور قليلة عدد المنخرطين في الحزب يتضاعف، وغدت مغنية اقطاعة للحزب."²⁶ كما كان يهتم بالشبيبة الجزائرية باعتبارها آمال الجزائر وعماد المستقبل، وعلى رأسها الحركة الكشفية التي كانت رافدا قويا للحركة الوطنية الجزائرية، إذ نجده وكما تذكر مصالح الاستعلامات الفرنسية يستقبل الجمعية الكشفية بمدينة مغنية بعد عودتها من فرنسا في أكتوبر 1947 بصفته مستشارا بلديا، وأوصى العناصر الكشفية بالأخوة والاتحاد والنضال من أجل الاستقلال، والذي لن يتأخر بفضل تضافر جهود المسلمين.

أكد أن هذا النشاط الوطني لم يكن خافيا على الإدارة الاستعمارية، وعلى رأسها الحاكم الإداري الذي كانت سلطته مطلقة في البلدية المختلطة، فكان لابد من توقيفه باستعمال مختلف الوسائل والأساليب. وفي هذا الإطار وبإيعاز من الإدارة الاستعمارية على ما يبدو، احتل أحد الجزائريين مزرعة أحمد بن بلة زاعما أنها ملكه، والغرض من ذلك هو إدخال المستشار البلدي العنيد، في صراع مع هذا الشخص الدخيل ومع عائلته. بعد إخفاق محاولات بن بلة في استرجاع مزرعته بالطرق القانونية، استرجعها باستعمال القوة، مع جرح أحد أفراد الأسرة المعتدية. وكان هذا الحادث حسب ما يذكر سببا في مغادرته مغنية خوفا من الزج به في السجن إذ يقول: كنت احتاج لهذه الحرية لخدمة حزبي وقضية الاستقلال (...). وصلت الجزائر العاصمة وغبرت اسمي. وابتداء من هذا التاريخ 1947 أصبحت مناضلا سريا.²⁷

الظاهر أن النضال السري لبن بلة كان في إطار المنظمة الخاصة، غير أن نشاطه العلني مع حزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار لم ينقطع تماما، ذلك أن الحزب رشحه بمدينة مغنية في انتخابات أبريل 1948 المتعلقة بالمجلس الجزائري، رغم توصيات هيئة أركان المنظمة الخاصة.²⁸ كما نجده وحسب مصالح الاستعلامات العامة الاستعمارية يتأخر في رئاسة الجمعية العامة الاستثنائية للجنة الفيدرالية للقطاع الوهراني المنعقدة في 23 يناير 1949 بنادي السعادة بوهران، ومن الذين حضروا هذه الجمعية سويح الهواري، زبايري إبراهيم، بن علي محمد من وهران، آيت زاوش معمر من عين تموشنت وغيرهم. ومن النقاط التي تمت مناقشتها زيارة مصالي الحاج إلى فرنسا والمصادقة على النداء الذي وجهه لهيئة الأمم المتحدة، والقمع السياسي والاقتصادي للإدارة الاستعمارية بالجزائر....²⁹

2.3. النشاط السري في إطار المنظمة الخاصة:

تأسست المنظمة الخاصة في مؤتمر الحزب الثوري المنعقد في فبراير سنة 1947، وهي منظمة شبه عسكرية هدفها التحضير للكفاح المسلح. وحسب محمد حربي فإن الأمين دباغين منذ صيف 1947 أوصى بلوزداد رئيس المنظمة الخاصة بأحمد بن بلة، الذي أصبح مسؤول المنظمة بولاية وهران وعضوا في هيئة الأركان.³⁰ وهذا التاريخ متزامن مع المؤتمر الفيدرالي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية للعمال الذي انعقد بوهران في جويلية 1947 والذي تعرضنا له سابقا، ويبدو أن الأمين دباغين اتخذ هذا القرار آنذاك.

ويرجع الفضل إلى بن بلة مع نائبه حمو بوتليليس الذي كان بدوره مستشارا بلديا بمدينة وهران في تنظيم المنظمة الخاصة بالغرب الجزائري. إن خيبة آمال حركة الانتصار في سياسة الانتخابات بعد التزوير الفاضح الذي قام به

نايجلان: مهندس التزوير، في انتخابات المجلس الجزائري المنظمة في أبريل 1948³¹، و ما سبقها وأعقبها من قمع و قهر وانسداد سياسي، جعلت ساسة هذه الحركة يعقدون اجتماعا موسعا للجنة المركزية في زيددين شهر ديسمبر 1948 بمزرعة بلحاج جيلالي في وادي الشلف، وإنهائه بالبليدة في يناير 1949 لبحث المسألة³².

بعد مناقشات مطولة، قررت اللجنة المركزية تفعيل المنظمة الخاصة وتدعيمها بالرجال والوسائل. وحسب أحمد بن بلة الذي اعتبر هذا الاجتماع مؤتمرا وحدد تاريخ انعقاده سنة 1949. فقد ذكر بأن المؤتمر عينه "مسؤولا عن التنظيم السياسي للحزب، وفي الوقت نفسه، مسؤولا عن المنظمة الخاصة"³³ ويتفق معه أحمد مهساس في هذا التاريخ لكن يختلف معه في طبيعة الحدث إذ ذكره على أنه اجتماع موسع للجنة المركزية وأن بن بلة كان "يمثل منطقة وهران في هيئة أركان المنظمة الخاصة؛ ثم انتدب كمسؤول في المنظمة السياسية نيابة عن مجيد (آيت أحمد) كي يتمكن من تنسيق نشاط المنظمات معا."³⁴ مع الإشارة إلى أن آيت أحمد تم تعويضه على رأس المنظمة الخاصة ببن بلة على إثر الأزمة البربرية.³⁵

ولشراء الأسلحة والتغلب على الصعوبات المالية التي كان يعاني منها الحزب، تم تنظيم الهجوم على البريد المركزي بمدينة وهران في 5 أبريل 1949. قرر الهجوم أحمد بن بلة وهيئة أركان المنظمة الخاصة بالاتفاق مع الأحول حسين وسيد علي عبد الحميد من قيادة الحزب³⁶، وحسب محمد حربي فإن "هذا العمل الذي تقرر بناء على معلومات قدمها نميش جلول، أعده آيت أحمد بمساعدة بن بلا، قائد المنظمة الخاصة في ولاية وهران، ونفذته مجموعة مؤلفة من سويداني بوجمعة، وبلحاج بوشعيب، ومحمد خيضر، وعمر حداد" وذلك بموافقة الأمين العام لحزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمقراطية حسين الأحول.³⁷

وعن هذه العملية تذكر مصالحي الاستعلامات الفرنسية بأنه في "5 أبريل 1949 على الساعة السادسة صباحا فإن مكتب البريد المركزي بوهران تمت مهاجمته من قبل عناصر ملثمة و مسلحة، و بعد جرح أميني الصندوق استحوذوا على 3 ملايين فرنك، تاركين في انسحابهم المستعجل مبلغ 30 مليون ف.³⁸

صنفت مصالحي الأمن الاستعمارية العملية في البداية ضمن الحق العام (سرقة المال و السيارة)، الحجز، الهجوم بالسلح، الضرب و الجرح"، و لم تعرف طابعها السياسي إلا بعد اعتقال فلوح مسكين الذي أدلى بمعلومات حول العملية تم على إثرها اعتقال قديفي بن علي في 12 أبريل 1949، و من بعده خيضر محمد و آخرون. و بالرغم من التعذيب الشديد للمعتقلين فإنها لم تكتشف وجود المنظمة الخاصة⁽³⁹⁾ و عدتها من عمل حزب الشعب الجزائري لتعمير خزينته التي كانت تشكو فراغا مزمنًا.

ومن العمليات المسجلة للمنظمة الخاصة بعمالة وهران؛ نذكر محاولة تحطيم النصب التذكاري للأمير عبد القادر بواسطة المتفجرات، و هو النصب الذي دشنه الحاكم العام نايجلان "بكشرو"؛ سيدي قادة، قرب مدينة معسكر في 15 أكتوبر 1949، في تظاهرة هامة نظمت بالمناسبة تحت شعار "الأخوة الفرنسية الإسلامية"، بل المصالحة بين الفرنسيين و المسلمين من خلال الوفد المشارك فيها. ورغم فشل المحاولة، فإنه قد تم فضح المناورة الاستعمارية من خلال المنشور الموزع بمختلف مدن العمالة تحت عنوان: "لندشين النصب التذكاري للأمير عبد القادر، فإن الشعب سيرد بالازدراء"، و من بين ما جاء فيه أيضا "... قامت الإمبريالية الفرنسية مرة أخرى بتلطيخ ذاكرة بطلك الوطني الحاج عبد القادر."⁴⁰ مع الإشارة إلى أن هذه التظاهرة شارك فيها السيد دورتيس D'ortès أحد أفراد عائلة المارشال ببيجو Bugeaud،⁴¹ الذي طبق سياسة الأرض المحروقة بالجزائر للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.

كما تكفل بن بلة في إطار المنظمة الخاصة باستقبال مقاومي القبائل بولاية وهران الذين كانوا محل مضايقات ومتابعات وبحث من طرف الشرطة الاستعمارية ، في الوقت الذي استقبلهم بن بولعيد في الأوراس، " فهما اللذان اضطلعوا بالمسؤولية عنهم وركزا نظام ارتباط يقيمهم على اتصال بعائلاتهم"⁴².

ولم يقتصر نشاط أحمد بن بلة على المستوى الداخلي فقط ، بل كانت له تحركات على المستوى الخارجي أيضا ومن الأمثلة على ذلك انتقاله إلى تونس؛ فبعد أن قررت اللجنة المركزية في يناير 1949 التنسيق مع الحزب الدستوري الجديد التونسي، ومع حزب الاستقلال المغربي، بغرض وضع استراتيجية مشتركة وخلق أجهزة شبه عسكرية لمواجهة الاستعمار، تم تعيين بن بلة ضمن الوفد الموجه إلى تونس رفقة بوقادوم ودرودور، واتصلوا بصالح بن يوسف بهذا الصدد لكن بدون نتيجة. غير أن بن بلة لم ييأس وقام " برحلة ثانية إلى تونس بصحبة بلحاج جيلالي لتركيز التعاون على صعيد تقني بوجه الحصر بين الدستور الجديد وحركة الانتصار...، وفي ربيع 1949 انتقل خبراء بصنع المتفجرات إلى تونس لإفادة رفاقهم الدستوريين بمعارفهم وخبراتهم..."⁴³.

استمر أحمد بن بلة في نشاطاته المعادية للاستعمار، إلى أن أُلقي عليه القبض بالعاصمة في ماي 1950 بعد اكتشاف المنظمة الخاصة في مارس من نفس السنة. بعد فراره من سجن البليدة في مارس 1952 التحق بالوفد الخارجي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالقاهرة عام 1953، واستمر في نشاطه الوطني التحرري الى غاية اندلاع الثورة الجزائرية المباركة في غرة نوفمبر 1954، والتي كان من بين قادتها البارزين ...

خاتمة:

من خلال ما تقدم، نلاحظ بأن المسار النضالي لأحمد بن بلة في الفترة المدروسة تأثر بعوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت في تكوينه وصقل شخصيته الوطنية والثورية، وبدأ نضاله يبرز على الساحة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد مجازر ماي 1945 الرهيبة، التي كان لها تأثير كبير في اتخاذ قراره الحاسم في مواجهة الاستعمار، وكرس نفسه منذ ذلك الوقت لخدمة القضية الوطنية من خلال النضال في صفوف الحزب الوطني الثوري، الذي كان متعاطفا مع أفكاره ومبادئه منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، وساهم في تفعيله سياسيا في إطار النشاط العلني داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وعسكريا داخل المنظمة الخاصة، ووصل بسرعة إلى مناصب القيادة بفضل مساره النضالي ، والمواصفات التي كانت تتوفر فيه، من شجاعة في القول وجرأة في مواجهة الاستعمار، ودأبة في النضال ، وقوة العزيمة والإرادة الصلبة في المقاومة، وروح التضحية والفداء في سبيل الوطن. ...

الهوامش (الإحالات):

¹ يذكر بن بلة أنه ولد في 25 ديسمبر سنة 1918: روبر ميرل، مذكرات أحمد بن بلة ، ترجمة العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب ، بيروت ، دت، ص31

² Mohamed Khalifa, Ahmed Ben Bella , Itinéraire , Ed , Maintenant, Alger , 1990 , pp . 14-15.

³ Ibid,p.12 .

⁴ Ibid,p.16 .

⁵ Loc .cit.

⁶ روبر ميرل، المصدر السابق ، ص34.

⁷ نفسه ، ص 35

⁸ نفسه، الصفحة ذاتها.

⁹ نفسه، ص ص 47-48.

¹⁰ نفسه، ص 38

¹¹ نفسه، ص 39

¹² نفسه، ص 41

¹³ نفسه، ص 63

¹⁴ نفسه، ص ص 67-68.

¹⁵ Mohamed Khalifa, Ahmed Ben Bella ,OP .CIT ,p.17

¹⁶ Ibid,pp.16-18

¹⁷ Ibid,p. 13,19

¹⁸ روبر ميرل، المصدر السابق، ص 37

¹⁹ للمزيد من الاطلاع حول هذا المؤتمر ينظر: محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع (1954 - 1962)، ترجمة كميل قيصير داغر، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، 1983، ص ص 43-47.

²⁰ مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942-1951: تجربة التحالفات وإرهاصات الثورة الجزائرية، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار ، السنة الجامعية : 2008/2009، ص 171.

²¹ نفسه ، ص ص 171_172

²² نفسه، ص 190: S.L.N.A. Oran 1947

²³ A.N.O.M, AIX EN PROVENCE, ORAN 14 ,R. du 28 octobre 1947.

²⁴ روبر ميرل ، المصدر السابق، ص 69

²⁵ نفسه، ص71

²⁶ نفسه، الصفحة ذاتها.

²⁷ نفسه، ص ص 72-77

²⁸ Mohammed Harbi, LE F.L.N , Mirage et réalité : Des origines à la prise du pouvoir , (1945-1962), NAQD-ENAL , ALGER , 1993,p.43..

²⁹ S.L.N.A., Oran, 1949.

³⁰ محمد حربي، المرجع السابق، ص70.

³¹ لمزيد من الاطلاع حول هذه الانتخابات بعمالة وهران ينظر: مصطفى أوعامري، انتخابات المجلس الجزائري بعمالة وهران : أبريل 1948، المجلة التاريخية المغاربية ، تونس، العدد140 ، جويلية 2010 ، ص ص 67-85

³² لمزيد من الاطلاع حول اجتماع زيد بن ينظر: محمد حربي، المرجع السابق، ص ص 52-57

³³ روبر ميرل، المصدر السابق، ص 81

³⁴ أحمد مهساس ، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة،، تر: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002 ، ص318.

³⁵ Mahfoud Kaddache , histoire du nationalisme algérien, question nationale et politique algérienne, 1919 - 1951, tome II ,2 éd, E.N.A.L ,Alger, 1993, P. 777

³⁶ Ibid,p.780

³⁷ محمد حربي، المرجع السابق، ص ص 59-60

³⁸ مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942-1951....، المرجع السابق، ص 251.

³⁹ Mahfoud Kaddache, OP.CIT,p .780

⁴⁰ مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص ص 250-251.

⁴¹ S.L.N.A., Oran, octobre 1949.

⁴² محمد حربي، المرجع السابق، ص 74

⁴³ نفسه، ص 58.